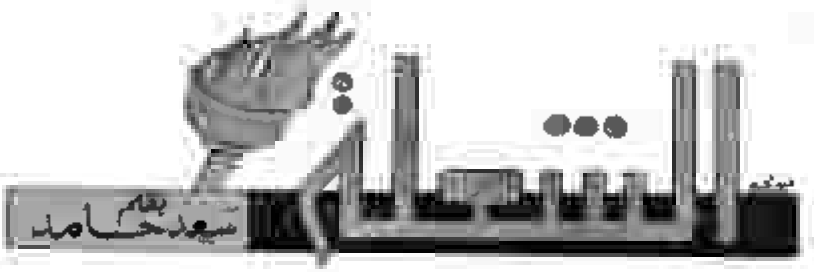

الولد مريض منذ أيام وكل ما لديها من نقود قد نفد عن آخره على الطبيب والدواء .. واليوم لا بد ان أبذل جهدا مضاعفا لأجمع أكبر قدر ممكن من المال وعسى أن تقع يدي على محفظة منتفخة بالأوراق المالية فتحل المشكلة ..

الولد في حاجة الى دواء جديد كتبه له الطبيب بالامس .. ولكن العين بصيرة واليد قصيرة .. لكن اليوم لن تصبح يدي قصيرة .. سامدها على قدر ما استطيع .. سأسعها في كل بيت وان استطعت أن أسرق الكحل من عيون النساء فسوف أسرق .

هكذا كان «جمعه» يتحدث الى نفسه وهو يغادر بيته في الحارة السد الضيقة وجمعه رجل ليست له مهنة يعيش منها ولكنه يمارس التسول ، وهو متزوج ولم ينجب سوى ولد واحد يحبه الحب كله. وقد ضبط مرارا يدخل السجن ، وكان ما أن يغادر السجن حتى يعود اليه من جديد ، وهو يغادر بيته كل صباح زاعما لجيرانه أنه ذاهب الى عمله باحدى الشركات ، ويروح يمارس التسول في السيارات العامة ، وكان يعود أحيانا من جولته حاملا الوقاص يحمل محفظة حاوية أو قلم حبر رخيص الثمن .. وأحيانا يلازمه التوفيق فيعود وفي جيبه بضعة جنيهات ...

كان اليوم من أيام الشتاء الباردة .. وخلف جمعه الحي الشعبي الذي يسكنه وراءه .. وهو لا ينقطع عن التفكير في ابنه الوحيد الذي يحبه الحب كله .. والذي تركه في البيت مريضا بمرض خطير هو الدفتريا ..

وانطلق منحدرا ليبدأ جولته اليومية

وسرعان ما طوته طرقات القاهرة المزدحمة ..

وفي الحارة السد الضيقة ، وفي الحجرة الصغيرة كانت «أم عبده» زوجة جمعه تقف الى جانب طفلها المريض الذي يلتقط انفاسه بصعوبة وجهد .. وفجأة رات وجهه يمتقع وانفاسه تتحشرج ورأسه تميل .. فأصيبت المرأة بذعر شديد ، وحملت الطفل وجرت به الى الطبيب الذي لا يبعد كثيرا عن البيت ..

واسعفه الطبيب .. أعطاه حقنة وبصع نقط من دواء ردت اليه أنفاسه الخافتة .. وكتب له دواء جديدا .. وطلب اليها أن تبادر باحضاره ..

وعادت بالطفل الى البيت .. ووضعته على الفراش .. ووقفت الى جانبه حائرة لا تدري ماذا تفعل ، فان القروش القليلة التي تملكها لا تكفي لشراء الدواء ..

وطلبت من جارتها من سكان البيت

أن يقرضها بعض النقود ريثما يعود زوجها لتشترى الدواء للطفل المريض ، ولكنهن اعتذرن ؛ فلم يكن يملكن نقودا

وقصدت صيدلية الحي وسألت الصيدلي أن يعطيها الدواء ، فاذا عاد زوجها من العمل جاءت له بالنقود .. ولكنه لم يجد الدواء المطلوب في صيدليته .

وبينما هي عائدة الى بيتها وهي تكاد تبكي من الغيظ والقهر وقع بصرها على جارهم السيد احمد ، وهو رجل طيب ثري يسكن في نفس الشارع ، وله في الحي اكثر من بيت ، وهو كثيرا مايقدم الخدمات لجيرانه ويعطف عليهم ويساعدهم في الملمات .

وتقدمت منه وحلة .. وحيته .. ثم قالت له في صوت مرتجف وفي عينيها دموع وهي تعرض أمام عينيه تذكرة الطبيب

ـ هل تتكرم ياسيدي جزاك الله كل خير وتحضر لي هذا الدواء من احدى الصيدليات .. فانه غير موجود بصيدلية الحي وابني مريض بالدفتريا وكان من لحظات يعاني من اختناق شديد ولو لم أسارع بحمله الى الطبيب لمات لساعته . وهو في حاجة شديدة اليه الآن وابوه لا يعود عادة الا في المساء . وحين يعود سأرد لك ثمنه .

تطلع الرجل الى المرأة المضطربة الدامعة العينين في اشفاق ثم تناول منها تذكرة الطبيب وقال لها في رقة وعطف

ـ سأحضر لك الدواء .. فلا تحملي هم شيء .. نحن جيران واعتبريه هدية مني ..

نظرت اليه المرأة في اكبار ، واشرق وجهها الحزين ، واخذت تدعو له بالصحة وطول البقاء .

ومضى الرجل ليركب الاتوبيس قاصدا احدى الصيدليات الكبرى .

وكان الاتوبيس مزدحما كالعادة .. مشحونا كأنه علبة سردين .. اناس يركبون .. واناس يهبطون .. وفي احدى المحطات قصر اليه « جمعة » الشمال ...

وانبرى جمعة بين الركاب .. وهو يختلس اليهم النظر ، ويفحصهم بنظراته مقدما بينهم عن صيد ثمين .. وفجأة وقع بصره على صيد ثمين .. وفجأة لاقتدى الثري الطيب ، يالله من صيد ثمين .

وقال جمعة لنفسه وقد اهتز من فرط النشوة .

ـ لكنه جاري .. وقد اوصى الناس على صنايع جار .. لكنه ثري جدا .. ولي بصيرة ان يفقد محفظة بها نصف جنيهات .. والولد مريض جدا .. ونحن في حاجة الى نقود .. وهو قطعا ليس في حاجة الى النقود التي في جيبه ولي يخسر كثيرا لو نقلت المحفظة من جيبه الى جيبي ، فهو يملك مالا كثيرا ، أما انا فليس لي مورد للرزق .

وفي لحظة كليم البصر نقل محفظة السيد احمد الى جيبه .. ثم سرعان ماغادر العربة في هدوء كأنه الطيف .

وعندما قدم السيد احمد تذكرة الطبيب الى الصيدلي واحضر له الرجل الدواء مد يده يتناول محفظته فاكتشف فقدها ، فاصفر للرجل وغادر الصيدلية وهو يشعر بالحرج .

وراح يبحث فى جيوبه عن نقود للعودة ، فعثر فى جيب الجاكتة الصغير الذى يضع فيه النقود الصغيرة بضعة قروش تكفيه للعودة .. لكنه وقف فى مكانه مترددا .. وبدت أمام عينيه صورة المرأة المتألمة الدامعة العينين كيف يعود فارغ اليدين بدون الدواء والطفل فى حالة خطرة .. وحتى لو عاد الى البيت ليأتى بنقود فسوف يمر وقت طويل ، وقد يمر الطفل بأزمة اخرى ويموت .

واخذ يشحذ ذهنه ليصل الى حل .. وفجأة تذكر صاحب صيدلية يعرفه من قديم .

ـ أجل .. الجراح يوسف .. رجل طيب .. سأذهب اليه واحضر الدواء، وفى الغد احمل اليه الثمن ...

وعاد الى الحى يحمل الدواء الى الطفل المريض .. وذهب بنفسه فقدمه لأمه ، واطمأن على حالة الطفل .

وبكت أم عبده وهى تدعوله بالستر وطول العمر .. ثم مضى الى بيته وهو يشعر براحة عميقة .

واقبل المساء ..

وفى الحجرة الصغيرة أضاءت الأم «اللمبة نمرة خمسة» وأحكمت اغلاق النوافذ الخشبية ، فقد كان البرد شديدا وكانت الرياح تعصف فى الخارج .. وتنفذ الى داخل الحجرة من خلال شقوق النوافذ .

ووقفت الى جوار طفلها باسمة الوجه سعيدة ، فقد تحسنت حالته كثيرا . واصبح يتنفس تنفسا هادئا منتظما ، ورد الدماء الى وجهه الشاحب المتقلص

ودخل زوجها عائدا من حولته باسم مشرق الوجه فقد وفق كثيرا في يومه واقترب من الفراش يتطلع الى ابنه وهو يسألها عن حالته ...

وقصت عليه ما حدث .

وابتسم الرجل .. ثم أخذ يضحك ، وقال لها وهو لايقطع عن الضحك :

ـ تصوري .. لقد شغلت السيد احمد بينما هو ذاهب ليحضر الدواء الامين

وقالت المرأة وقد تملكتها الدهشة :

ـ ولكنه زعم هذا احضر لى الدواء بنفسه واطمأن على الطفل .

كانت المرأة واقفة شبه ذاهلة وهي تردد في صمت خلف «ياله من رجل كله الخير والمروءة»

وكانت الرياح تهب في الخارج ، وتنفذ الى داخل الحجرة من خلال شقوق النوافذ ، وتعبث بضوء «اللمبة» عبثا شديدا .. ولكن « اللمبة » لم تنطفىء رغم هبوب الرياح .. !

وظلت المرأة جامدة في مكانها تفكر في الخير الذي فعله السيد احمد من أجل طفلها .. والذي يفعله دائما من أجل جيرانه .

واعترمت امرا ..

وفي الصباح فوجىء السيد احمد بحافظة نقوده كاملة في صندوق البوستة .. !

اما جسمه فقد هزه الحادث كثيرا ، واصبح يتذكر اكثر من مرة قبل ان يلتقط حافظة نقود .. ان يد طفله المريض تتسلل الى يده تشلها قبل ان تمتد الى جيب الضحية .

ولاول مرة في حياته فكر في ان يكسب عيشه من طريق شريف .. وكان الله معه ...

فقد وفق في ان يعمل فراشا في صيدلية الحي التي تقع على ناصية الشارع .. حقا .. ان الشعلة لم تنطفىء رغم هبوب الرياح .